السلسلة القصصية...

قصص الراحلين إلى الجنة

محمد عبده مغاورى

مكتبة الإيمان - المنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله على نعمة الإسلام ، وحلاوة الإيمان وعظمة القرآن ، الحمد لله على كلمة التوحيد ، الحمد لله على شارحة الصدور ، والمنجية من عذاب القبور، والفوز بها ، يوم الحشر والنشور ، هيا بنا جميعا نقولها بإخلاص : لا إله إلا الله ، فبلا إله إلا الله أحيا بها وحدى ، وبلا إله إلا الله ألقي بها ربى ، وبلا إله إلا الله يمحى بها ذنبى ، وبلا إله إلا الله أنجو بها فى قبرى .

أعددتُ للّه حين ألقاه ... أَشهدُ أن لا إله إلا اللَّهُ
أقولُها للإله خالصة ... يرحمُنى فى القيامة اللّهُ
لعل يومَ الحساب أنجو بها ... يومَ العقوبة زاد بلواه
يوم يفوزُ على الأشهادِ قائلُها ... ويخسرُ الجاحدون نعماه
فهى لدار الخلود قائدَةٌ ... ومَنْ عصى فالجحيمُ مأواه
مَنْ قالها للإله خالصةً ... فهو الذى قد أتاه تقواه
وهو الذى فى الخلد مسكنُهُ ... اللّهُ قد خصه فيها وأرضاه
قد فاز عبدٌ يكون ذاكرها ... بدار عدنٍ جوار مولاه
يحظى بدار الخلد قائلُها ... طوبى لمن قالها وطوباه
مَنْ كان عند الممات قائلها ... فاز بدنياه وأُخْراه

فأحينى يا إلهى على كلمة التوحيد وأمتنى على كلمة التوحيد واحشرنى مع أهل التوحيد .

والصلاة والسلام على الرحمة المهداة للعبيد ، سيـد الخلق فهــو النــور المديد.

صلوا على نور تزايد فخرُه	يعلو على الأنوار والألباب
محمدٌ زين الخلق شرقًا ومغربًا	وخيرُ شفيع ناطق بصواب
وخيرُ حبيب للإله نبينا	وخيرُ رسولٍ عامل بكتاب
أتى الخلق والأصنام تُعْبَدُ جهرةً	وبوأهـم إبليسُ شَـرَّ مآب
فأنقذَ بالنور البهى عباده	وبوأهم بالدين حسنَ مآب
فصلوا على خير الخلائق كُلِّهم	لتستوجبوا يا قومُ خيرَ ثواب

فاللهم صلى وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فهذا هو الكتاب الثالث بعون الرحمن فى السلسلة القصصية ، ولقد أردت أن أضع فيه أعطر ما قرأت ، وأعظم ما سمعت ، فليس هناك شىء يبوح بالعطر ، أفضل من ذكر الطريق إلى الله ، والطريق إلى الله نهايته الجنة ، وما أجملها من نهاية تكتب لكل من ـ رضى الله عنه ـ .

لذا فلقد اخترت بعضا ممن بشرهم ربنا عز وجل على لسان نبيه

محمد ﷺ بالجنة كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى ـ رضى الله عنهم ـ ، ثم بحثت فى سيرتهم واصطفيت بعضا من قصصهم التى ترشدنا إلى شيء هام هذا الشيء هو :

السائرون إلى الفردوس أى طريق سلكوا ؟ ، وما هو منهجهم ؟ ، وبماذا تميزوا عن الخلائق ؟

كل هذه الأسئلة طرحتها ثم جعلت الإجابة عليها من خلال القصص العظيمة التى سنقرأها سويا إن شاء الله ، لذا أرجو أن تمعن فى كل قصة ونحاول بكل جهد أن نستثمرها فى حياتنا اليومية حتى نفوز إن شاء الله كما فازوا ، ونربح كما ربحوا .

ولم اكتف بواحد فقط ، لأنه ربما يرهقنا اتباعه فعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ مثلا إذا ذكرناه واكتفينا به ربما رأينا بعضنا يصرخ قائلا : ومن يستطيع أن يكون مثل عمر ـ رضى الله عنه ـ فلقد كان يأكل العيش والزيت وهذه معيشة غاية فى الشدة والألم ، لذا ذكرت معه مثلاً عثمان ابن عفان ـ رضى الله عنه ـ فقد كان غنيًا يأكل لين الطعام ويأكل اللحم، ومع ذلك فهو من المبشرين بالجنة .

من أجل ذلك ذكرت قصصا كثيرة عن عظماء ، ولنحاول أن ننهج نهج من نستطيع تتبع أثره ، أو أن نحاول أخذ الجميل والقدوة من الكل

إن استطعنا ولنعلم أنهم ما فعلوا ذلك إلا لأنهم تربوا فى المدرسة المحمدية فظفروا بشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله وعملوا بها حتى فلحوا وفازوا وربحوا بالفردوس فهنيئا لهم ولنسأل الله جميعا ، أن يلحقنا بهم وأن نسير على نهجهم ونقتدى بهم ، ونحشر معهم ، اللهم سألناك وإنا نعلم أنك خير مجيب فاستجب لنا .

وحتى لا أطيل عليكم هيا بنا سويا لننعم بقصص «الراحلين إلى الفردوس » ونسأل الله العلم والعمل اللهم آمين .

المؤلف

محمد عبده مغاورى

دعونا نرى عظمة الصديق ـ رضى الله عنه ـ

يقول العلامة ابن كثير :

قال عبد الله بن محمد ، حدثنى أبى محمد بن عمران ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة قالت :

« لما اجتمع أصحاب النبى ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ فى الظهور ، فقال : « يا أبا بكر إنا قليل ».

فلم يزل أبو بكر يلحُّ حتى ظهر رسول الله ﷺ ، وتفرق المسلمون فى نواحى المسجد كل رجل فى عشيرته ، وقام أبو بكر فى الناس خطيبا ، ورسول الله ﷺ جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله ﷺ وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين فَضُرِبُوا فى نواحى المسجد ضربا شديدا ووطئ أبو بكر وضرب ضربًا شديدًا ، ودنا « اقترب » منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبى بكر حتى ما يُعرف وجهه من أنفه .

وجاء بنو تيم يتعادون فأجْلَت المشركين عن أبى بكر وحملت بنو تيم أبا بكر فى ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون فى موته ، ثم رجعت

بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة .

فرجعوا إلى أبى بكر ، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب فتكلم آخر النهار . فقال : ما فعل رسول الله ﷺ ؟! فمشوا منه بألسنتهم وعَذَلوه ، ثم قاموا وقالوا لأمه « أم الخير » : انظرى أن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه.

فلما خلت ألحت عليه ، وجعل يقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟

فقالت : والله ما لى علم بصاحبك !!

فقال : اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه .

فخرجت حتى جاءت أم جميل ، فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله .

فقالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك .

قالت : نعم .

فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دَنِفًا ، فذبت أم جميل وأعلنت بالصباح والله إن قوما ما نالوا هذا منك لأهلُ فسق وكفر ، وإنى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم .

قال : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ .

قالت : هذه أمُّك تسمع .

قال : فلا شيء عليك منها .

قالت : سالمٌ صالحٌ .

قال : أين هو ؟ .

قالت : في دار ابن الأرقم .

قال : فإن لله عليَّ أن لا أذوق طعامًا ولا أشرب أو آتي رسول الله ﷺ .

فأمهلتا « أي أم جميل ، وأم الخير » حتى إذا هدأت الرِّجْلُ وسكن الناس ، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ ، فأكب عليه رسول الله ﷺ فقبله وأكب عليه المسلمون ورقَّ له رسول الله ﷺ رقة شديدة .

فقال أبو بكر : بأبي وأمي يا رسول الله ، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي !! وهذه أمي بَرَّة بولدها ، وأنت مبارك فادعها إلى الله ، وادع الله لها عسى أن يستنقذها بك من النار .

فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت « انتهت القصة هذه العظيمة إن كانت دليلا ، فهي دليل على شدة إيمان هذا الرجل ،

هذا الرجل الذى علا فى قدره ومنزلته حتى أصبح نجما فى سماء التقى، وشمسا تنير طريق العارفين ، وقمرًا لكل العالمين ، فأين ؟ . . . ثم أين المتصحون ؟ .

* * *

الآن لا تحلب لنا منائح دارنا

لنقرأ سويا هذه القصة بغاية التمعن ، حتى نرى كمال القناعة والرضا وانكسار النفس .

يقول العلامة ابن جرير الطبرى :

« وكان للصديق ـ رضى الله عنه ـ قطعة غنم تروح عليه ، وربما خرج هو بنفسه فيها ، وربما كُفيها فرعيت له ، وكان للحى أغنامهم ، فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحى : « الآن لا تحلب لنا منائح دارنا ».

فسمعها أبو بكر فقال : بلى لعمرى لأحلبنها لكم ، ، وإنى لأرجو ألا يغيرنى ما دخلت عن خُلُقٍ كنت عليه .

فكان يحلب لهم ، وربما قال للجاراية من الحى : يا جارية أتحبين أن أرعى لك ، أو أصرح؟

فربما قالت : ارعى ، وربما قال : أصرح .

فأى ذلك قالته فعل ».

رحم الله هذا الخليفة ، ونسأل الله جميعا أن ننهج نهج هذا العملاق ، فترق قلوبنا ، وتخضع لله عزَّ وجلَّ ، فلا نعرف إلا

التواضع ، والبساطة ، وسماحة الخلق ، ونضع تحت أقدامنا ، الكبر ، والغل ، والحقد ، وحب الدنيا ، وحب الإمارة ، وما إلى ذلك من حب السلطة ودناءة النفوس .

وأرى أن أقوى هذه القصة بذكرها مرة أخرى عند عالم آخر غير ابن جرير حتى يتسنى لنا الحكم بقوتها وصحتها .

يقول العلامة ابن الجوزى فى (التبصرة) :

« اعلم أن خلال أبى بكر - رضى الله عنه - معلومة من الورع والخوف ، والزهد والبكاء ، والتواضع ، وأنه لما استخلف أصبح غاديا إلى السوق وكان يحلب للحى أغنامهم قبل الخلافة ، فلما بويع ، قالت جارية من الحى : الآن لا يحلب لنا.

فقال : بلى لأحلبنها لكم وإنى لأرجو ألا يغيرنى ما دخلت فيه .

* * *

كدت أن تهلكنى

جاء فى (الحلية) :

عن زيد بن أرقم ، قال : كان لأبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ مملوك يغل عليه فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة . فقال له المملوك : مالك كنت تسألنى كل ليلة ولم تسألنى الليلة ؟!

قال : حملنى على ذلك الجوع ، من أين جئت بهذا ؟

قال المملوك : مررت بقوم فى الجاهلية فرقيت لهم فوعدونى ، فلما أن كان اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم فأعطونى .

فقال الصديق أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ : إن كدت أن تهلكنى ، فأدخل يده فى حلقه فجعل يتقيأ ، وجعلت لا تخرج ، فقيل له : إن هذه لا تخرج إلا بالماء فدعا بطست من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها .

فقيل له : يرحمك الله هذا من أجل هذه اللقمة ؟!

قال : لو لم تخرج إلا مع نفسى لأخرجتها . سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به** » فخشيت أن ينبت شىء من جسدى من هذه اللقمة .

* * *

اتق الله فى سرائرك

أخرج ابن سعد عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ـ رضى الله عنه ـ قال : أمر أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ أن تجمع الجيوش إلى الشام وكان أول من سار من عماله عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ وأمره أن يسلك على أبُلَّة « بلد قُرِبَ البصرة » عامداً لفلسطين . وكان جند عمرو الذين خرجوا من المدينة ثلاثة آلاف ، فيهم ناس كثير من المهاجرين والأنصار . وخرج أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ يمشى إلى جنب راحلة عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ وهو يوصيه ويقول:

« يا عمرو . . . !!

اتق الله فى سرائرك وعلانيتك واستحيه ، فإنه يراك ويرى عملك ، وقد رأيت تقديمى إياك على من هم أقدمُ سابقةً منك . فكن من عُمالِ الآخرة ، وأرِد بما تعمل وجه الله ، وكن والداً لمن معك ، ولا تكشف الناس عن أستارهم واكتف بعلانيتهم ، كن مُجداً فى أمرك وأصدُق اللقاء إذا لقيت ولا تجبن فى الغُلول وعاقب عليه ، وإذا وعظت أصحابك فأوجز ، وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك».

* * *

غضب الخليفة

حدثنا عفان حدثنا يزيد زُريع حدثنا يونس بن عبيد عن حُميد بن هلال عن عبد الله بن مُطرف أنه حدثهم عن أبى برزة الأسلمى أنــه قال:

كنا عند أبى بكر الصديق فى عمله ، فغضب على رجل من المسلمين فاشتد غضبه عليه جدًا ، فلما رأيت ذلك قلت : يا خليفة رسول الله ، أضرب عنقه ! فلما ذكرت القتل صُرِفَ عن ذلك الحديث أجمع إلى غير ذلك من النحو ، فلما تفرقنا أرسل إلىَّ بعد ذلك أبو بكر الصديق ، فقال : يا أبا برزة ، ما قلت ؟

قال: ونسيت الذى قلت : ذكرنيه، قال : أما تذكر ما قلت ؟

قال : قلت : لا والله .

قال : أرأيت حين رأيتنى غضبت على الرجل فقلتَ : أضربُ عنقه يا خليفة رسول الله ، أما تذكر ذاك ؟ أو كنت فاعلاً ذلك ؟

قال: قلت : نعم والله إن أمرتنى فعلت .

قال : « ويحك ؟ أو ويلك ، إن تلك والله ما هى لأحد بعد محمد ﷺ» .

ما أعظمها من قصة ، غضب الصديق ـ رضى الله عنه ـ من الرجل، ولكنه أمسك نفسه وحبس غضبه لأن المسلم إهانته وعقابه ليس بالشيء اليسير كما يظن الكثير من هذه الأمة الإسلامية بأمرها حاكمها ومحكومها ومن لا يصدق فليقرأ بتمعن القصة السابقة خليفة المسلمين بغضبه أحد الرعية لدرجة أن الجالس معه أراد ضرب عنقه ولكن أرأيتم ما أغضب الخليفة « أغضب الخليفة إرادة هذا الجليس إيذاء من أغضبه » هذه هى الأمة المحمدية . لمن أراد أن يرفع لواءها وأن يكون تحت لواء الإسلام للرحمن الرحيم ، ساعيا إلى الفردوس .

* * *

النجـــاة

أخبرنا عبد السلام عن عبد الله بن بشر ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب، عن عثمان بن عفان قال :

لما قُبِضَ النبى ، وسوِسَ ناسٌ من أصحابه فكنت فيمن وسوِسَ .

قال : فَمَرَّ عُمَرُ عَلىَّ فَسَلَّمَ فلم أرُدَّ عليه ، فشاكانى إلى أبى بكر قال : فجاءنا فقال لى: سَلَّم عليك أخوك فلم ترد عليه !

قال : قلت : ما عَلِمْتُ بتسليمه ، وإنى عن ذاك فى شغُل .

قال : ولم ؟

قلت : قُبِضَ رسول الله ، ولم اسأله عن نجاة هذا الأمر.

قال : فقد سألْتُهُ .

قال : فقمت إليه فاعتنقته .

قال : قلت : بأبى أنت وأمى ، أنت أحق بذلك .

قال : قد سألته ؛ فقال :

« من قبل الكلمة التى عرضتها على عَمِّى فهى له نجاة ».

هذه الكلمة هى شهادة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فكل

عمل بعدها مقبول وكل عمل بدونها هباء ، نعم فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله قُبِل منه العمل ومن لم يشهد فهو كافر خارج عن الدين كل أعماله مردودة .

وأختم بحديث رسول الله ﷺ : « من قال : لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة ، ومن صام يوما ابتغاء وجه الله خُتِمَ له بها دخل الجنة. ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة » .

* * *

أبقيت لهم الله ورسوله

عن زيد بن أرقم عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ يقول : أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك ما عندى فقلت : اليوم أسبق أبا بكر ، إن سبقته يوما ، قال : فجئت بنصف مالى ، قال : فقال لى رسول الله ﷺ : « **ما أبقيت لأهلك** ».

قال : فقلت : مثله « أى قسمت المال مناصفة وأحضرت النصف ».

وأتى أبو بكر بكل ما عنده .

فقال له رسول الله ﷺ : « **ما أبقيت لأهلك ؟** » قال : أبقيت لهم الله ورسوله.

قلت : لا أسابقك إلى شىء أبدًا .

* * *

عسى ذلك أن يكفر عنك

يقول أبو نعيم:

حدثنى علقمة بن أبى علقمة عن أمه قالت : سمعت عائشة تقول : لبست ثيابى فطفقت أنظر إلى ذيلى وأنا أمشى فى البيت ، والتفت إلى ثيابى وذيلى ، فدخل أبو بكر فقال : يا عائشة أما تعلمين أن الله لا ينظر إليك الآن .

وسبب هذه المقولة أنه رأى أن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ قد تملكها الغرور والعجب وبعض من الكبر بسبب الثياب وهذا لا ينبغى لمن كان تحت لواء التوحيد وحتى تكون أكثر وضوحًا فإليكم نفس القصة ولكن برواية موضحة ، تبين لنا كيف سار هؤلاء إلى الفردوس ؟ .

عن محمد بن زيد عن عروة بن الزبير عن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ قالت : لبست مرة درعا لى جديدًا ، فجعلت أنظر إليه وأعجبت به .

فقال أبو بكر : ما تنظرين ؟ إن الله ليس بناظر إليك !! .

قلت : ومم ذاك ؟!

قال: أما علمت أن العبد إذا دخله العجب بزينة الدنيا مقته ربه عزَّ

وجلَّ حتى يفارق تلك المزينة ؟!

قالت : فنزعته فتصدقت به .

فقال أبو بكر : عسى ذلك أن يكفر عنك .

* * *

إنا لله وإنا إليه راجعون

إن أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ كانت حياته عبارة عن معبر للدار الآخرة لم يقتنص فيها المال أو الجاه أو النفوذ ، ولكنه اقتنص الحسنات التى تدفعه إلى الجنات ، وكان يريد لكل الأمة ذلك ، وانظروا معى إلى قصته عند وفاة ابنه وخوفه عليه عندما رأى المال تحت وسادته ، وقصته عند إعلانه الخوف على أهل بدر من الدنيا وفتنتها . لنقرأ سويا ولنتمعن عسانا أن نظفر بهذه الخصلة الحبيبة «ترك الدنيا والعمل للآخرة».

*** قصة احتضار ابنه :**

حضرت الوفاة ابنا لأبى بكر الصديق ، وجعل الفتى يلحظ إلى وسادة ، فلما توفى قالوا لأبى بكر : رأينا ابنك يلحظ إلى الوسادة ، قال : فرفعوه عن الوسادة فوجدوا تحتها خمسة دنانير أو ستة فضرب أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ بيده على الأخرى يسترجع يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما أحسب جلدك يتسع لها».

*** قصة البدريين :**

حدثنا أبو بكر محمد بن محمد ثنا أحمد بن محمد بن عمر ثنا

محمد بن هشام ثنا أبو إبراهيم الترجمانى ثنا عاصم بن طليق عن ابن سمعان عن أبى بكر بن محمد الأنصارى أن أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ قيل له : يا خليفة رسول الله ألا تستعمل أهل بدر ؟

قال : إنى أرى مكانهم ، ولكنى أكره أن أدنسهم بالدنيا .

* * *

لا نورث ، وكلمة حق

أسوق إليكم قصتين من أعظم ما قرأت وفيهما نرى صلاحًا للبشرية كلها ولكن أين من يعمل بهذين الحديثين ؟ .

لذا أرجو أن نقرأهما بغاية التمعن والتحصيل وبغية العمل حتى ينصلح حال هذا المجتمع الذى أوشك على الانهيار وحتى نسير على طريق آخره الفردوس إن شاء الله .

القصة الأولى : أو الحديث الأول :

عن ابن شهاب أخبرنى عروة بن الزبير ، أن عائشة زوج النبى ﷺ أخبرته ، أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ ، أن يَقسِمَ لها ميراثها ، مما ترك رسول الله ﷺ ، مما أفاء الله عليه .

فقال لها أبو بكر : إن رسول الله ﷺ قال : « لا نُورَث . ما تركنا صدقة ».

قال : وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله ﷺ من خيبر وفَدَكٍ. وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك . وقال : لست تاركا شيئا كان رسول الله

ﷺ يعمل به إلا عَمِلْتُ به . إننى أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ. فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى على وعباس . فغلبه عليها عَلِيٌّ وأما خَيبر وفدكُ فأمسكهما عمر وقال : هما صدقه رسول الله ﷺ كانتا لحقوقه التى تعروهُ ونوائبه وأمرهما إلى من ولى الأمر.

قال : فهما على ذلك إلى اليوم .

الحديث الثانى : أو القصة الثانية :

عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، أنها أخبرته ، أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلى أبى بكر الصديق تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك . وما بقى من خمس خيبر .

فقال أبو بكر : إن رسول الله ﷺ قال : « **لا نُورثُ ما تركنا صدقةٌ. إنما يأكل آل محمد ﷺ فى هذا المال** » وإنى والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التى كانت عليها فى عهد رسول الله ﷺ ولأعملن فيها ، بما عمِل به رسول الله ﷺ .

فأبى « رفض » أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئا .

فوجدت فاطمة على أبى بكر فى ذلك . قال : فهجرته ، فلم تكلمه حتى توفيت . وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها على بن أبى طالب ليلا . ولم يؤذن بها أبا بكر

وصلى عليها على . وكان لعلى من الناس وجهة ، حياة فاطمة فلما توفيت استنكر على وجوه الناس .

فالتمس مصالحة أبى بكر ومتابعته . ولم يكن بايع تلك الأشهر فأرسل إلى أبى بكر : أن ائتنا ، ولا يأتنا معك أحد «كراهية محضر عمر بن الخطاب » ، فقال عمر لأبى بكر : والله لا تدخل عليهم وحدك .

فقال أبو بكر : وما عساهم أن يفعلوا بى ، إنى والله ! لآتيهم .

فدخل عليهم أبو بكر ، فتشهد على بن أبى طالب . ثم قال : إنا قد عرفنا ، يا أبا بكر فضيلتك وما أعطاك الله ولم تنفس عليك خيرا ساقه الله إليك ولكنك استبددت علينا . بالأمر .

وكنا نحن نرى لنا حقًا لقرابتنا من رسول الله ﷺ فلم يزل يُكلم أبا بكر حتى فاضت عينا أبى بكر .

فلما تكلم أبو بكر قال : والذى نفسى بيده ! لقرابة رسول الله أحب إلىّ أن أصل من قرابتى . وأما الذى شجر بينى وبينكم من هذه الأموال ، فإلم آل « أى اقصر » فيها عن الحق ؟ . ولم أترك أمرًا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته.

فقال على لأبى بكر : موعِدُك العشية للبيعة ، فلما صلى أبو بكر صلاة الظهر. رقى على المنبر فتشهد . وذكر شأن على وتخلفه عن البيعة

وعُذْرُه بالذى اعتذر إليه .

ثم استغفر ونشد على بن أبى طالب فعظم حق أبى بكر وأنه لم يحمله على الذى صدع نفاسة على أبى بكر ، ولا إنكارًا للذى فضله الله به ، ولكنا كنا نرى لنا فى الأمر نصيبا فاستبد علينا به فوجد فى أنفسنا .

فسُرَّ بذلك المسلمون . وقالوا : أصبت . فكان المسلمون إلى على قريبا ، حين راجع الأمر بالمعروف .

فرحمة الله عليكم جميعا يا من خضعتم لله وحده ولم تعملوا بالمحسوبيات ولم يتدخل فى منهجكم الوسايط ، والمحاسيب وآه من رجال يزعمون أنهم يريدون الآخرة ، وبالرغم من ذلك يكبون على معاصيهم بلا تردد أو رجوع إلى الحق ، ويداهنون حتى يرتقوا ، وإن تحدثوا قالوا : « لله » ، فالله برىء من كل المداهنات ويحب ما فعله الراحلون إلى الفردوس .

* * *

وصية الراحل إلى الفردوس

أخرج ابن عساكر عن سالم بن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : لما حضر أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ الموت أوصى :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا عهد من أبى بكر الصديق ، عند آخر عهده بالدنيا ، خارجا منها ، وأول عهده بالآخرة ، داخلا فيها ، حيث يؤمن الكافر ، ويتقى الفاجر ، ويَصدُقُ الكاذب إنى أستخلفت من بعدى عمر بن الخطاب ، فإن عدل فذلك ظنى فيه ، وإن حاد وبَدَّلَ فالخير أردت ، ولا أعلم الغيب : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [الشعراء : ٢٢٧] ثم بعث إلى عمر ـ رضى الله عنه ـ فدعاه فقال :

يا عمر . . . !

أبغَضَك مُبغِضٌ ، واحَبَّكَ مُحِبٌ ، وقدمًا ببعض الخير ويحب الشـــر .

قال عمر : فلا حاجة لى فيها .

قال : لكن لها بك حاجة وقد رأيت رسول الله ﷺ وصحبته ، ورأيت أثرته أنفسنا على نفسه حتى إن كنا لنهدى لأهله فضلَ ما يأتينا

منه، ورأيتنى وصحبتنى وإنما اتبعت أثر من كان قبلى والله . . . !

ما نمت فحلمت ، ولا شهدت فتوهمت ، وإنى لعلى طريق ما زغتُ ، تعلم يا عمر . . !

إن لله حقا فى الله لا يقبله بالنهار ، وحقا بالنهار لا يقبله بالليل وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق ، وحق لميزان أن يثقل لا يكون فيه إلا الحق ، وإنما خفَّت موازين من خفَّت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل، وحق لميزان أن يخَّف لا يكون فيه إلا باطل .

إن أول ما أحذرك نفسك ، وأحذرك الناس فإنهم قد طمحت أبصارهم ، وانتفخت أهواؤهم وأن لهم الخيرة عن زلة تكون فإياه تكونه، فإنهم لن يزالوا خائفين لك فرِفينَ منك ما خفت الله وفَرِقْتَهُ .

وهذه وصيتى وأقرأ عليك السلام !!

الله . . . الله . . . على هذه الوصية ، والله الله ـ لو عملنا جميعا بما جاء بها من خير ، واتعبنا بذلك سنن هؤلاء العظماء .

* * *

أنت ملك العرب !!

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز فى ذم الدنيا كتابا طويلا فيه :

أما بعد . .

فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار مقام ، وإنما أنزل آدم عقوبة ، فاحذرها يا أمير المؤمنين ، فإن الزاد منها تركها ، والغنى فيها فقرها ، تُذِل من أعزَّها ، وتفقر من جمعها كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه، فاحذر هذه الدار الغرارة الخيالة الخداعة، وكن أسرَّ ما تكون فيها، احذر ما تكون لها ، سرورها مشوب بالحزن، وصفوها مشوب بالكدر ، فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرًا ، ولم يضرب لها مثلا ، لكانت أيقظت النائم ، ونبهت الغافل ، فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ ؟ ، فما لها عند الله سبحانه قدر ولا وزن، ما نظر إليها منذ خلقها .

ولقد عرضت على نبينا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مفاتيحها وخزانتها، لا ينقصه عند الله جناح بعوضة ، فأبي أن يقبلها وكره أن يحب ما أبغض خالقه، أو يرفع ما وضع مليكه، ذواها الله عن الصالحين اختيارًا، وبسطها لأعدائه اغترارًا ، أفيظن المغرور بها المقتدر

عليها أنه أكرم بها ، ونسى ما صنع الله بمحمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حين شدّ على بطنه الحجر ؟ ، والله ما أحد من الناس بسط له فى الدنيا ، فلم يخف أن يكون قد مكر به ، إلا كان قد نقص عقله ، وعجز رأيه ، وما أمسك عن عبد فلم يظن أنه قد خير له فيها إلا كان قد نقص عقله وعجز رأيه .

وقال مالك بن دينار :

« اتقوا السحارة ، فإنها تسحر قلوب العلماء ، يعنى الدنيا » والآن تعالوا بنا لنرى كيف تعامل أحد المبشرين بالجنة مع الدنيا ؟ ، وهو سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ .

* القصة : « أنت ملك العرب » :

يقول العلامة ابن كثير : قال أنس :

كان بين كتفى عمر ـ رضى الله عنه ـ أربع رقاع ، وإزاره مرقوع بأدم ، وخطب عمر على المنبر وعليه إزار فيه اثنتى عشرة رقعة وأنفق فى حجته ستة عشر ديناراً، وقال لابنه : لقد أسرفنا .

وكان لا يستظل بشىء غير أنه كان يلقى كساءه على الشجر ويستظل تحته ، وليس له خيمة ولا فسطاط .

ولما قدم الشام لفتح بيت المقدس كان على جمل أورق تلوح صلعته

للشمس، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة قد طبق رجليه بين شعبى الرَّحْلِ بلا ركاب ، ووطاؤه كبش من صوف ، وهو فراشه إذا نزل وحقيبته محشوة ليفًا ، وهى وسادته إذا نام، وعليه قميص من كرابيس فدرث وتخرق جيبه ، فلما نزل ، قال: ادعوا لى رأس القرية ، فدعوه ، فقال : اغسلوا قميصى ، وأعيرونى قميصًا ، فأتى بقميص من كتان .

فقال : ما هذا ؟!!

فقيل : كتان!!

قال : فما الكتان ؟!

فأخبروه فنزع قميصه فغسلوه وخاطوه ثم لبسه ، فقيل له : أنت ملك العرب، وهذه بلاد لا يصلح فيها ركوب الإبل فأتى ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رَحْل فلما سار جعل البرذون يهملج به .

فقال لمن معه : احبسوا ، ما كنت أظن الناس يركبون الشياطين ، هاتوا جملى . ثم نزل وركب الجمل .

رحم الله عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أرادته الدنيا وسعت له ولكنه رفضها وأعرض عنها والقصة السابقة أكبر دليل ، حمل رجالا ليس إلى الدنيا وزينتها وزخرفها لها ، إنما حمل الرجل إلى الفردوس لذا يا أحبابى أرجو من الله أن ننتبه فلنعش ولكن بدون طمع وحرص

على الدنيا حتى نتبع هؤلاء العظماء وأذكرك ونفسى بقوله الله تبارك وتعالى :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) ﴾

[آل عمران : ١٤، ١٥].

* * *

القوى الأمين

لنقرأ سويا هذه القصة بتمعن شديد ونرى كيف حرص العملاق عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ على مال المسلمين فلم يتساهل أو يتهاون بمال المسلمين؟، ولكنه حافظ عليه ، ولم يصدر منه بعض الحجج التى تصدر من بعضنا فنقول : نحن نعمل على قدر ما نعطى ، وننسى أمانة العمل « أمانة العمل الموكل أنت به. . . فحافظ على أموال المسلمين » هذا كلام بسيط وأرجو أن يفهم أحبائى ما أريده من وراء هذا الكلام ، وحتى لا أطيل فهيا بنا سويا لنقرأ ما جاء.

حدثنا أبو يزيد المدينى ، قال : حدثنا مولى لعثمان بن عفان قال : كنت رديفا لعثمان بن عفان، حتى أتى على حظيرة الصدقة فى يوم شديد الحر شديد السموم، فإذا رجل عليه إزار ورداء ، قد لف رأسه جرداء يطرد الإبل يدخلها الحظيرة ، حظيرة إبل الصدقة .

فقال عثمان : من ترى هذا ؟ ! ، قال : فانتهينا إليه ، فإذا هو عمر بن الخطاب ، فقال: [هذا والله القوى الأمين] يقصدون بهذا الوصف عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ .

وأيضا :

حدثنا عمر بن نافع عن أبى بكر العبسى ، قال : دخلت حيز الصدقة مع عمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب ، قال : فجلس عثمان فى الظل يكتب وقام على رأسه يمل عليه ما يقول عمر ، وعمر فى الشمس قائم فى يوم شديد الحر ، عليه بردان أسودان ، متزرًا بواحد، وقد لف على رأسه آخر ، يعد إبل الصدقة ، ويكتب ألوانها وأسنانها فقال على لعثمان وسمعته يقول : نعت بنت شعيب فى كتاب الله : ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٦] .

ثم أشار على بيده إلى عمر ، فقال : « هذا القوى الأمين » ـ كان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لا يأخذ آلاف الدنانير مقابل وظيفته كأمير للمؤمنين ولكنه كان حريصا على حال المسلمين ومالهم ، لذلك فلتنتبه أيها الطبيب فى المستشفى فلا تقل : إن المرتبات كذا وكذا . . . وصحة الناس أمانة ، ولتنتبه أيها المدرس . . . ولتنتبه يا صاحب المركز والمنصب ، فلننتبه جميعا ولنقم بأفعال السابقين الراحلين إلى الفردوس .

وأختم هذه القصة بكلام جميل يبين كيف التزم عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بالأمانة ؟ .

يقول العلامة الطبرى :

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسماعيل ، عن يونس عن الحسن قال : قال عمر : لئن عشت إن شاء الله لأسيرن فى الرعية حولا ، فإنى أعلم أن للناس حوائج تقطع دونها أما عمالهم فلا يرفعونها إلى ، وأما هم فلا يصلون إلى فأسير إلى الشام ، فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى البصرة ، فأقيم بها شهرين والله . . . لنعم الحول هذا!!

* * *

ليس عليه باب ولا حجاب

يقول العلامة ابن جرير : حدثنا محمد بن عون ، قال : حدثنا أبو المغيرة ، قال: حدثنا صفوان بن عمرو ، قال : حدثنى أبو المخارق زهير بن سالم ، أن كعب الأحبار ، قال : نزلت على رجل يقال له : مالك وكان جارًا لعمر بن الخطاب فقلت له : كيف بالدخول على أمير المؤمنين ؟

فقال : ليس عليه باب ولا حجاب ، يصلى الصلاة ثم يقعد فيكلمه من شاء.

* * *

الداعية الصادق

يقول العلامة الطبرى :

كان عمر ـ رضى الله عنه ـ إذا أراد أن يأمر المسلمين بشىء أو ينهاهم عن شىء مما فيه صلاحهم بدأ بأهله ، وتقدم إليهم بالوعظ لهم ، والوعيد على خلافهم أمره كالذى حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء ، قال : حدثنا أبو بكر بن عباس ، قال: حدثنا عبد الله بن عمر بالمدينة، عن سالم ، قال :

كان عمر إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شىء جمع أهله ، فقال : إنى نهيت الناس عن كذا وكذا ، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير ـ يعنى إلى اللحم ـ وأقسم بالله لا أجد أحدًا منكم فعله إلا اجتمعت عليه العقوبة.

هذه القصة لا تحتاج إلى شرح ، وما أجملها لو عملنا بها فى هذا العصر الذى انقلبت فيه هذه القصة انقلابا كاملاحتى أننا لا ندرى لِـمَ؟، ولكن .

نقول : فلنبدأ بأنفسنا فعلى كل من يقرأها أن ينفذها عسى الله أن يرحمنا.

* * *

أين الحقيقة

إن من أحب الدنيا ، عمى تمام العمى عن الحقيقة ، هذه الحقيقة هى «إن طالت فإلى متى ؟» مهما طال العمر فلابد من الورود إلى القبر ذلك المكان الموحش المرعب فى هيئته المفزع فى حقيقته ، والله ما يعمره ولا ينيره إلا الإيمان ، ثم بعد القبر ، النشر والحساب هذه هى الحقيقة التى أدركها من استعد وحمل رحله ساعيا إلى الفردوس ولنقرأ سويا ما كتبه العلامة الطبرى عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - .

عن سعيد بن المسيب قال : حج عمر ، فلما كان بضجنان قال : لا إله إلا الله العظيم العلى ، المعطى ما شاء من شاء ! كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادى فى مدرعة صوف ، وكان فظًا يتعبنى إذا عملت ، ويضربنى إذا قصرت وقد أمسيت وليس بينى وبين الله أحد ثم تمثل :

لا شيءَ فيما ترى تبقى بشاشتُهُ

يبقى الإلهُ ويودِى المالُ والولدُ

لم تغنِ عن هُرمُزٍ يوما خزائنُه

والخلدُ قد حاولت عادُ فما خلدُوا

ولا سُليمان إذ تجرى الرياحُ له

والإنـــسُ والجِـنُّ فيمـــا بينهـــا تَرِدُ

أيْنَ الملوكُ التـــــى كانت نوافلُهـــا

مـن كـُلِّ أوبٍ إليـهـا راكـبٌ يَفِـدُ

حوضًا هنالك موروداً بلا كـــوبٍ

لابُدَّ من وِرْدِهِ يـومـًا كَــمَا وردُوا

هذه هى الحقيقة الكل رغم أنفه .. ميت ، الكل رغم أنفه .. مغادر هذه الزائلة فَلِمَ يتعلقُ بها مَنْ تعلقَ؟! ولِمَ الحرصُ والتنافسُ على الهالك الزائل ؟

* * *

الفـــاروق

جاء فى (الحلية) .

عن مجاهد عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : سألت عمر ـ رضى الله عنه ـ لأى شىء سميت بالفاروق ؟

فقال : أسلم حمزة قبلى بثلاثة أيام ، ثم شرح الله صدرى للإسلام فقلت: «لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى » فما فى الأرض نسمة أحب إلى من نسمة رسول الله ﷺ .

قلت : أين رسول الله ﷺ ؟

قالت أختى : هو فى دار الأرقم بن أبى الأرقم عند الصفا .

فأتيت الدار وحمزة فى أصحابه جلوس فى الدار ، ورسول الله ﷺ فى البيت فضربت الباب فاستجمع القوم .

فقال لهم حمزة : ما لكم ؟

قالوا : عمر .

قال : فخرج رسول الله ﷺ فأخذ بمجامع ثيابه ثم نثره نثرة فما تمالك أن وقع على ركبته .

فقال : « ما أنت بمنته يا عمر ؟».

قال : فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

قال : فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد.

قال : فقلت : يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا ؟ .

قال : « بلى . والذى نفسى بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم».

قال : فقلت : ففيم الاختفاء ؟ والذى بعثك بالحق لتخرجن فأخرجناه فى صفين ، حمزة فى أحدهما وأنا فى الآخر ، له كديد ككديد الطحين حتى دخلنا المسجد ، قال : فنظرت إلىَّ قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها .

فسمانى رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق . وفرق الله بى بين الحق والباطل .

وروى أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لما أسلم قال :

الحمدُ للهِ الذى وَجبتْ له

علينا أيادى مالها غِيَرُ

وقد بــدأ بنا فكذبنــا وقــال لنـا

صـدق الحـديث نبى عنده الخبـرُ

وقد لطمتُ ابنةَ الخطاب ثم هدى

ربى عشية قالوا : قد هُدِى عمـرُ

وقد ندمتُ على ما كان مــن زلل

بلطمـها حين تُتْلَى عنـدها السورُ

لما دعتْ ربّها ذا العرش ما هـذه؟

والدمع فى عينـها عـجلان يبـتدرُ

أيقنتُ أن الذى تدعـــوه خالقُهـا

فكـان يسبقـنى مــن عـبــرة دررُ

فقلــت: أشهــدُ أن اللّهَ خالِقُنَـا

وأن أحمدَ فيـنـا اليــوم مشتـهــرُ

نَبِىٌّ صدقٍ أتى بالحقِ مـــن ثقــةٍ

وافى الأمـانة مـا فى عُـودهِ خَـوَرُ

لذا يقول ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ :

« ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر » .

* * *

كيف تترك الدنيا ؟

إن المقصود بترك الدنيا ، التحرى فى المال ، فلا تأخذنا الدنيا فتجمعه من حل ومن حرم ، وأيضا : إنفاق المال فلا يكون إنفاقه إلا فى سبيل الله عز وجل وليس المقصود بترك الدنيا أبدا ، الدروشة وما إلى ذلك من أفعال بعض المنتسبين إلى الصوفية ، فالإسلام لا يطلب منا ذلك ولكنه يطلب منا النية الصادقة لله فلنكتسب المال من حلال ولننفقه فى سبيل الله ولنصحح مدار حياتنا ونجعل العمل لوجه الله ، والراحة للتقوى على العبادة ، والكلام من الذكر، والسكوت من الفكر ، ولنعلم جيدًا أننا لسنا سببا لعزة الإسلام ، ولكن الإسلام هو الذى أعزنا ، فكلما سارعنا بتطبيق أحكامه والسير بما جاء فى كتاب اللّه وسنة رسوله كلما عملنا للآخرة وابتعدنا عن الزائلة وسعينا مع من سعوا إلى الفردوس .

هذا هو المقصود بترك الدنيا وحتى يكون بكلامى فيه وضوح فلنقرأ سويًا القصة.

روى الزبير بن بكار ، قال : لما قلد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ عمرو بن العاص مصر ، بلغه أنه قد صار له مال عظيم من ناطق

وصامت فكتب إليه .

أما بعد . . . !

فقد ظهر لى من مالك ما لم يكن فى رزقك ولا كان لك مال قبل أن استعملك ، فأنى لك هذا ؟ ! فوالله لو لم يهمنى فى ذات الله إلا من أختان من مال الله ، لكثر همى ، وانتشر أمرى ، ولقد كان عندى من المهاجرين الأولين من هو خير منك ، ولكنى قلدتك رجاء غنائك ، فاكتب إلى من أين لك هذا المال؟! وعجل .

فكتب إليه عمرو بن العاص .

أما بعد . . . !

فقد فهمت كتاب أمير المؤمنين ، فأما ما ظهر لى من مال فإنا قدمنا بلادا رخيصة الأسعار ، كثيرة الغزو، فجعلنا ما أصابنا من الفضول التى اتصل بأمير المؤمنين نبؤها ووالله لو كانت خيانتك حلالا ما خنتك ، وقد ائتمنتنى فإن لنا أحسابا إذا رجعنا إليها أغنتنا عن خيانتك وذكرت أن عندك من المهاجرين الأولين من هو خير منى ، فإذا كان ذاك فوالله ما دققت لك يا أمير المؤمنين بابًا ، ولا فتحت لك قفلا .

فكتب إليه عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ .

أما بعد . . !

فإنى لست من تسطيرك الكتاب وتشقيقك الكلام فى شىء ولكنكم معشر الأمراء ، قعدتم على عيون الأموال ولن تعدموا عُذرًا ، وإنما تأكلون النار وتتعجلون العار ، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ، فسلم إليه شطر مالك . « أى نصفه » .

فلما قدم محمد صنع له عمرو طعاما ودعاه يأكل : فقال : محمد : هذه تقدمة الشر ، ولو جئتنى بطعام الضيف لأكلت ، فنح عنى طعامك ، وأحضر لى مالك ، فأحضره ، فأخذ شطره .

فلما رأى عمرو كثرة ما أخذ منه ، قال : لعن الله زمانا صرتُ فيه عاملاً لعمر ، والله لقد رأيت عمر وأباه على كل واحد منهما عباءة قطوانية ، لا تجاوز مأبضى (كبتيه « أى باطن الركبة » ، وعلى عنقه حزمة حطب ، والعاص بن وائل فى مُزرَرَّاتِ الديباج « أى ملابس تشبه الحرير وكذلك الحرير » .

فقال محمد : إيها عنكِ يا عمرو فعمر والله خير منك ، وأما أبوك وأبوه فإنهما فى النار ، ولولا الإسلام لألفيت معتلفا شاة ، يسرك غررها ويسوءُك بكاءُها «أى لظللت راعى غنم تفرح إذا كثر لبنها وتحزن إذا قل اللبن ».

فقال عمرو : صدقت فاكتم على ، قال محمد : أفعل .

هذه القصة تصحح المفاهيم ، بالذات المفهوم الخاطئ حيث يظن البعض أن ترك الدنيا يكون بأفعال الصوفية والانقطاع عن العمل سعيا وراء الهيام على الوجه، وبالطبع هذا غير سليم فالإقبال على الآخرة وترك الدنيا يكون بتحرى الحلال فى المال والعمل من أجل إقامة شرع الله ، والعمل من أجل تدعيم البيت والأسرة والمجتمع لطاعة المولى عز وجل ، تحرى الحلال واجتناب الحرام هذا هو المقصود ، وأسأل الله لى ولكم العيش فى طاعته والموت على طاعته ، والعمل بأعمال الراحلين إلى الفردوس .

* * *

أذهبتم طيباتكم ؟

مر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يوما بشاب من فتيان الأنصار وهو ظمآن، فاستقاه فجدح «أى خلط » له ماء بعسل فلم يشربه ، وقال : إن الله تعالى يقول: ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾

[الأحقاف: ٢٠] .

فقال له الفتى : يا أمير المؤمنين ، إنها ليست لك ولا لأحد من هذه القبيلة اقرأ ما قبلها : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ [الأحقاف : ٢٠] فقال عمر - رضى الله عنه - : كل الناس أفقه من عمر . . . ما أعظم أن يطأطئ الإمام رأسه أمام الحق ويعترف بخطئه حتى ينتفع الجميع ، من منا مثلك يا أمير المؤمنين يخضع للحق ولا تأخذه العزة بالإثم .

* * *

اللهم إنا نسألك السلامة

عن جابر بن عبد الله قال : عسسنا مع عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ذات ليلة بالمدينة حتى انتهينا إلى خيمة فيها نويرة تقدح أحيانا وتطفأ أحيانا وإذا فيها صوت حزين فقال : « أقيموا مكانكم » ومضى حتى انتهى إلى الخيمة فإذا عجوز تقول :

على محمدٍ صلاةُ الأبرارِ صَلَّى عليه المصطَفَوْن الأخيارُ

قد كنتُ قوامًا تَلِى الأسحارَ فليتَ شِعْرِى والمنايا أطوارُ

هل تَجْمَعُنِى وحبيبى الدارُ ؟

فبكى عمر ـ رضوان الله عليه ـ حتى ارتفع صوته ومضى حتى انتهى إلى الخيمة فقال: السلام عليكم . السلام عليكم . السلام عليكم .

فأذنت له فى الثالثة ، فإذا عجوز ، فقال لها عمر : أعيدى على قولك فأعادت عليه قولها بصوت حزين فبكى عمر ثم قال : وعمر لا تنسيه رحمك الله .

فقالت : وعمر فاغفر له إنك أنت الغفار .

يا الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ، يطلب من يستغفر له فما بالكم بحالنا نحن « اللهم إنا نسألك السلامة » .

* * *

آثرتُ حُبَّ رسول الله ﷺ على حبى

أرى الكثير من الأمة الإسلامية يصيح بِوُدِّى لو أعلم كيف أرى رسول الله ﷺ فى المنام ؟ وأنعم برفقته فى منام فى الدنيا وأيضا فى الآخرة .

والإجابة : سهلة ويسيرة إذا ما كانت على صفحات هذا الكتاب المتواضع ولكن اعذرونى عندما أقول: إنها صعبة جدًا فى التنفيذ .

وحتى لا يكون بكلامى غموض اسمحوا أن أعرض عليكم سؤالاً غاية فى الأهمية وهو . من منا يحب رسول الله ﷺ بصدق وإخلاص؟ قبل أن نتسرعوا فى الرد اقرءوا هذه القصة ثم ليجب كل منا على نفسه.

حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا محمد بن بكر عن ابن جريج عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر أنه فرض لأسامة بن زيد فى ثلاثة آلاف وخمسمائة ، وفرض لعبد الله بن عمر فى ثلاثة آلاف .

قال عبد الله بن عمر لأبيه : لِمَ فضلت أسامة علىَّ ؟؛ فوالله ما سبقنى إلى مشهد.

قال « يعنى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ » : لأن

زيدًا كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك وكان أسامة أحب إلى رسول الله ﷺ منك ، فآثرت حب رسول الله ﷺ على حبى .

فمن منا يقدم حب رسول الله ﷺ على رغباته وشهواته؟؛ من منا يقدم حب رسول الله ﷺ على مصلحة أولاده؟، وبالطبع لا أقصد بالحب هنا الحب الذى جاء فى حديث رسول الله ﷺ : « **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه** » .

فهذا الحب نحن مأمورون به ، ولكنى أقصد الدرجة التى تعلوه فحبه والإيمان بدعوته واجب ولكن تقديمه على كل الملذات والشهوات والرغبات المباحة سنة فمن منا يعمل بتلك السُّنَّة ؟ حتى نرى منه الإخلاص فى الحب والمثل الحى لما أقول: الحديث السابق فكان من الممكن أن يعطى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لابنه أزيد من أسامة ـ رضى الله عنه ـ ولكنه أعطاه أقل لعلمه أن رسول الله ﷺ كان يحب أسامة فهذا الحب فاق حب الأوامر إلى الحب من أجل الحب، الحب الذى نرى من خلاله الصدق والإخلاص فهم ـ بحق الراحلون ـ إلى الفردوس وما أعظم أن نقتدى بهم عسى أن نلحقهم اللهم آمين .

* * *

لا تتكبر حتى لا توضع تحت الأقدام

عن الحرث بن معاوية الكندى : أنه ركب إلى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يسأله عن ثلاث خلال « خصال » ، فقدم المدينة فسأله عمر : ما أقدمك؟

قال : لأسألك عن ثلاث خلال .

قال : وما هن ؟

قال : ربما كنت أنا والمرأة فى بناء ضيق فتحضر الصلاة ، فإن صليت أنا وهى كانت بحذائى ، وإن صلت خلفى خرجت من البناء؟

فقال عمر : تستر بينك وبينها ثم تصلي بحذائك إن شئت .

قال : وعن الركعتين بعد العصر ؟

فقال : نهانى عنهما رسول الله ﷺ .

قال : وعن القصص فإنهم أرادونى على القصص.

فقال : ما شئت ، كأنه كره أن يمنعه .

قال : إنما أردت أن أنتهى إلى قولك.

قال : أخشى عليك أن تقص فترتفع عليهم نفسك ، ثم تقص فترتفع ، حتى يخيل إليك أنك فوقهم بمنزلة الثريا ، فيضعك الله تحت أقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك .

* * *

حكمــــة

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ :

ـ عليك بإخوان الصدق تعش فى أكنافهم فإنهم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يقبلك منه، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين ، ولا أمين إلا من يخشى الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ، ولا تطلعه على سرك واستشر فى أمرك الذين يخشون الله تعالى.

* * *

عَفٌّ عن الدنيا وقد تزخرفت ...

رأى سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يومًا صبية تمشى فى السوق والريح يلقيها لضعفها ، فقال : من يعرف هذه ؟!

فقالوا : ابنة عبد الله ، هذه إحدى بناتك .

قال : أى بناتى ؟

قالوا : بنت عبد الله بن عمر .

قال : فما بلغ بها ما أرى ؟

قال على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ : إمساكك ما عندك .

قال : إمساكى ما عندى يمنعك أن تطلب لبناتك ما يطلب الناس ؟

أما والله مالك عندى إلا سهمك مع المسلمين وسعك أو عجز عنك بينى وبينكم كتاب الله !.

وقيل فى ذلك :

عَفٌّ عن الدنيا وقد تزخرفَتْ ... ممكنه وعافها وقد قَدَرَ

معكم فى الناس يقضى بينهم ... بمحكم الآى ومنصوصِ السُّوَرِ

حدثت عنه مثل ما تحدثت ... عن كرم الأغصان حلواء الثمرِ

* * *

الخليفة والعجوز

قال طلحة بن عبد الله :

خرج عمر ليلة فى سواد الليل فدخل بيتا ، فلما أصبحت ذهبت إلى ذلك البيت فإذا عجوز عمياء مقعدة ، فقلت لها : ما بال هذا الرجل يأتيك ؟

فقالت : إنه يتعاهدنى مدة كذا وكذا يأتينى لما يصلحنى ويخرج عنى الأذى .

فقلت لنفسى : ثكلتك أمك يا طلحة أعثرات عمر تتبع .

لم أكتب هذه القصة لأشعركم بالعجز ، نعم هذه الحقيقة لقد شعرت بالعجز عندما قرأت هذه القصة ، كيف لأمير المؤمنين الذى يحكم العديد والعديد من الدول أن يخدم امرأة عجوز ليست له بقريبه أو ذات مكانة غير أنها مسلمة؟، ولكنى بعدما شعرت بالعجز عاهدت الله أن أحاول وأجتهد فى كسر نفسى وأرجو من الله أن نسارع جميعا لذلك ، وننس المناصب والمراكز ونضع نصب أعيننا أن خير فائز هو الفائز بالجنة لا بالمنصب أو غيره ، والله المستعان .

* * *

ائتنا نأمر لك بما يصلحك

روى ثابت عن أنس قال : بينما عمر يعس بالمدينة إذ مر برحبة من رحابها فإذا هو ببيت من شعر ، فدنا منه فسمع أنين امرأة ورأى رجلا قاعدًا ، فدنا فسلم عليه ثم قال : من الرجل ؟

فقال : رجل من أهل البادية جئت إلى أمير المؤمنين أصيب من فضله.

قال عمر : فما هذا الصوت فى هذا البيت ؟

قال : امرأة تمخض - تلد - .

قال : هل عندها أحد ؟

قال : لا .

فانطلق حتى أتى منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت على: هل لك فى أجر ساقه الله إليك ؟

قالت : وما هو ؟

قال : امرأة غريبة تمخض ليس عندها أحد .

قالت : نعم إن شئت .

قال : فخذى ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق والدهن ، وحيئين برمة وشحم وحبوب فجاءت به فقال : انطلقى . وحمل البرمة ومشت خلفه حتى انتهى إلى البيت فقال لها : ادخلى إلى المرأة وجاء حتى قعد إلى الرجل فقال له: أوقد لى نارا . ففعل فأوقد تحت البرمة حتى أنضجها وولدت المرأة .

فقالت امرأته : يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام .

فلما سمع الرجل بأمير المؤمنين هابه فجعل يتنحى عنه.

فقال : مكانك كما أنت .

فحمل البرمة عمر ـ رضى الله عنه ـ فوضعها على الباب ثم قال : اشبعيها ، ففعلت ثم أخرجت البرمة فوضعتها على الباب فقام عمر فأخذها فوضعها بين يدى الرجل فقال : كُل ويحك فإنك قد سهرت من الليل ففعل ثم قال لامرأته : اخرجى.

وقال للرجل إذا كان غدا فائتنا نأمر لك بما يصلحك ففعل الرجل فأجازه وأعطاه.

* * *

أنت تحمل وزرى يوم القيامة ؟

قال أسلم : خرجت ليلة مع عمر إلى حرة واقم ، حتى إذا كنا بصرار إذا بنار فقال : يا أسلم ههنا ركب قد قصر بهم الليل ، انطلق بنا إليهم فأتيناهم فإذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيان لها يتضاغون ، فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضوء.

قالت : وعليك السلام .

قال : أدنو « أى اقترب » .

قالت : ادن أو دع .

فدنا « أى فاقترب » فقال : ما بالكم ؟

قلت : قصر بنا الليل والبرد .

قال : فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟

قالت : من الجوع .

فقال : وأى شىء على النار ؟

قالت : ماء أعللهم به حتى يناموا ، الله بيننا وبين عمر فبكى عمر ورجع يهرول إلى دار الدقيق فأخرج عدلاً من دقيق وجراب شحم ،

وقال : يا أسلم احمله على ظهرى .

فقلت : أنا أحمله عنك .

فقالت : أنت تحمل وزرى يوم القيامة ؟

فحمله على ظهره وانطلقنا إلى المرأة فألقى عن ظهره وأخرج من الدقيق فى القدر ، وألقئ عليه من الشحم ، وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته ساعة ثم أنزلها عن النار ، وقال : إيتينى بصحفة ، فأتى بها فغرفها ثم تركها بين يدى الصبيان وقال : كلوا .

فأكلوا حتى شبعوا - والمرأة تدعو له وهى لا تعرفه - فلم يزل عندهم حتى نام الصغار ثم أوصى لهم بنفقة وانصرف ، ثم أقبل علىّ فقال :

يا أسلم الجوع الذى أسهرهم وأبكاهم .

* * *

نحرسهم الليلة

قال أسلم مولى عمر :

قدم المدينة رفقه من تجار فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف : هل لك أن نحرسهم الليلة ؟

قال : نعم !

فباتا يحرسانهم ويصليان ، فسمع عمر بكاء صبى فتوجه نحوه فقال لأمه : اتق الله تعالى وأحسنى إلى صبيك .

ثم عاد إلى مكانه ، فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك ، ثم عاد إلى مكانه ، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبى فأتى إلى أمه فقال لها : ويحك، إنك أم سوء ، ما لى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة عن البكاء ؟!

فقالت : يا عبد الله إنى أشغله عن الطعام فيأبى ذلك .

قال : ولم ؟!

قالت : لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم .

قال : وكم عمر ابنك هذا ؟!

قالت : كذا وكذا شهراً .

فقال : ويحك لا تعجليه عن الفطام .

فلما صلى الصبح وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء .

قال : بؤسا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين ثم أمر مناديه فنادى : لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود فى الإسلام وكتب بذلك إلى الآفاق.

* * *

قول مأثور

هناك قول مأثور عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ خرج من قلبه الصادق وفكره الصافى وإيمانه الشديد هيا بنا جميعًا لنقرأه ونفهمه ونرجوا من الله أن نعمل به وننتفع بما فيه .

يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ :

« لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لقيت الله ، لولا أن أضع جبهتى لله ، أو أجلس فى مجالس ينتقى فيها طيبب الكلام كما ينقى جيد التمر، أو أن أسير فى سبيل الله عز وجل ».

* * *

نائلــــــة

إن الذين ساروا على طريق النور لهم رأى خاص فى المتعة فهم يرون أن المتعة مع أصحاب العقول والفوز يكون بالمرأة ذات الدين والعقل ، لذا استطاعوا أن يواصلوا رحلتهم إلى الجنة ، والآن تعالوا بنا لنرى برهانا على ذلك فى قصة نائلة بنت الفرافصة .

عن أبى عبيدة قال : لما تزوج عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ نائلة بنت الفرافصة اهتداها فبعث بها أبوها إليه مع أخيها ضب فلما فصلت من السماوة إلى المدينة خرجت من فراق أهلها وبلادها فقالت :

أحقا تـراه اليــوم يـا ضَــبُّ إننــى

مصاحبةٌ نحـو المدينــة أركبــا

أما كان من فتيان حصن بن ضمضم

لك الويل ما يغنى الخباء المحجبا

قضـى اللّـهُ حقًا أن تموتــى غريبــةً

بيثـــربَ لا تلقـين أمًّـــا ولا أبَـا

قال ابن بطة : وحدثنى أبو صالح ، حدثنا أبو الأحوص حدثنا

نعيم بن حماد، وحدثنا ابن المبارك ، أخبرنا إسحاق بن طلحة ، عن مولى لطلحة : أن عثمان ـ رضى الله عنه ـ استعمل الوليد بن عقبة على صدقات كلب ، فزوجه نائلة بنت الفرافصة الكلبى ، فلما قدم قال : إنى زوجتك نائلة بنت الفرافصة .

فقال: زوجتى نصرانية ؟

قال : إنها إذا قدمت إليك أسلمت .

فلما قدمت دخل عليها عثمان بن عفان ، فصلى ركعتين ثم قال : يا هذه تأتينا أو نأتيك ؟ فقامت حتى جلست إلى عثمان .

فقال لها عثمان : إنك لَعَلَّكِ تَرَيْن شَيْبًا وتقلبا فى السن ، فإن وراء ذلك غلالة من شباب .

فقالت : إن أحب الخلطاء إلىّ لمن ذهبت عنه ميعة الشباب ، واجتمع حلمه، ووثق برأيه .

فلما خرج قال له الناس : يا أمير المؤمنين ، كيف رأيت أهلك ؟

قال : رأيت أوفى عقلاً من الداخلة علىّ.

* * *

تبكي من هذا؟

قال عبد الله بن أحمد : حدثنا يحيى بن معين حدثنا هشام بن يوسف حدثني عبد الله بن بحير القاص عن هانئ مولى عثمان قال :

كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته .

فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا ؟

فقال : إن رسول الله ﷺ قال :

« **القبر أول منازل الآخرة ، فإن يَنْجُ منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم يَنْجُ منه فما بعده أشد منه** » .

قال : وقال رسول الله ﷺ : « **والله ما رأيت منظراً قطُّ إلا والقبر أفظع منه**».

ويذكرني خوف عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ من القبر بقصة جميلة لا مانع من ذكرها هنا وهي .

*** نباش القبور :**

روى عن سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : بينما نحن جلوس في مجلس ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ إذ وقف رجل بين

يديه فقال : يا ابن عباس : ما أذل العاصين بين يدى الله تعالى وما أحسن المبادرين إلى طاعة الله تعالى ! يا ابن عبس . ما أغفل المذنبين عن قرب الجليل ، وأشد تخليط من لم يوفق بالرحيل !

قال : ثم خرج فقام إلى ابن عباس بعض جلسائه فقال له : يا ابن عباس إن هذا الفتى «نباش» وإنما يتستر بهذه المقالة ، فإذا جن عليه الليل خرج إلى المقابر فنبش فيعرى الموتى من أكفانهم .

قال ابن عباس : لا أصدق مثل هذا حتى أراه بعينى وألمسه بكفى.

فقال له الرجل : إن شئت لأريتك ذلك .

فقال : قد شئت .

فلما هجم الليل إذ الفتى قد أقبل وفى يده اليمنى قنديل وفى اليسرى غُلٌّ حتى توسط المقابر ثم رمى بطرفه شاخصًا وقال:

سلام عليكم أهل مضايق اللحود ، ومطعم البلاء والدود ، ما أبعد سفركم، وما أوحش طريقكم ، فليت شعرى ما حالكم؟ أرتهنتم بأعمالكم ، وقطعتم دون آمالكم ، بل ليت شعرى . أندمُ الحياة حَلَّ بكم ، أم فرح البشرى بالقدوم على ربكم ، سبقتمونا فلبيتم ، وأجبتم قبلنا إذ دعيتم ، ونحن للقدوم عليكم منتظرون وللمنهل الذى وردتموه واردون ، فبارك الله لنا ولكم على القدوم عليه ، ورحمنا إذا صرنا إلى

ما صرتم إليه ثم نزل فى قبر قد احتفره لنفسه فوضع خده على شفير اللحد وجعل ينادى :

يا ويلتى إذا دخلت فى قبرى وحدى ، ونطقت الأرض من تحتى فتقول لى : لا مرحبا ولا أهلا ، ولا سعة ولا سهلا بمن كنت أمقته وهو على ظهرى ، فكيف وقد صرت اليوم فى بطنى ؟ لأضيقن عليك أرجائى ، ولأذيقنك مكروه بلائى . ويلى إذا خرجت من لحدى حاملا وزرى على ظهرى وقد تبرأ منى أبى وأمى . بل ويلى من طول كذبى إذا أسمعنى منادى ربى : أين فلان بن فلان ؟ فأبرزت من بين جيرتى ، وقد بدت إلى الناس سريرتى ، وقمت عريانا ذليلا وقاسيت كربا طويلا، ثم أساق إلى أرض القيامة للعرض ، والوقوف بين يدى جبار السماوات والأرض . ويلى إذا وقفت أمام ربى فقال لى : عبدى استترت بمعصيتى عن المخلوقين وبارزتنى بها وأنا عَليك من أكبر الشاهدين ، أفكنت عليك من أهون الناظرين إليك ؟ ، ثم خر مغشيا عليه فلما أفاق رفع رأسه إلى السماء فقال: يا ذخرى ويا ذخيرتى ومن هو أعلم بطويتى وسريرتى ، يا من عليه اعتمادى فى حياتى ، ومن إليه ألجأ بعد مماتى ، لا تخذلنى بعد الموت ، ولا توحشنى فى قبرى يا سامع كل صوت . . .

فلما سمع ابن عباس مقالته لم يتمالك أن يسعى حتى وقف على

شفير القبر وجعل ينادى : لبيك لبيك حبيبى ما أنبشك للذنوب والخطايا، هكذا تنبش الذنوب وتمزق الخطايا ، ثم التفت إلى الذى وشى به وقال له : يا عبد الله هكذا فاصنع كلما علمت بمثل هذا النباش، فأرشده إلى ابن عباس ، فما أحبهَ إليه وآثره لديه ، ياليت كل النابشين مثله وأنشأ يقول :

قفْ بالقبور نبكى طويلاً ونداوى بالدمع داءً جليلاً

فعسى الدمعُ أن يُبَرِّدَ منا بعضَ لَوَعَاتنا ويَشْفى الغليلا

وتنادي الأحبابَ كيف وجدتُمُ سكرةَ الموت بعدنا والمقيلا ؟

لو أطاقوا الجوابَ قالوا : وجدنا سكرةً تتركُ العزيزَ ذليلا

بُدِّلُواْ بعد القصور قُبوراً ثم بعد اللباس رَدْمًا ثقيلا

* * *

التحـــــرى

عن عباس بن الفضل مولى بنى هاشم ، عن أبيه عن جده ابن أبى رافع ، أنه كان خازنا لِعَلِىٍّ بن أبى طالب - رضى الله عنه - على بيت المال ، قال : فدخل يوما وقد زُينت بنته ، فرأى عليها لؤلؤة من بيت المال قد كان عرفها ، فقال: من أين لها هذه ؟ ، لله على أن أقطع يدها .

قال: فلما رأيت جده فى ذلك قلت : أنا والله يا أمير المؤمنين زينت بنت أخى ، ومن أين كانت تقدر عليها لو لم أعطها ؟ فسكت .

* * *

يا غوثا بالله

عن ناجية القرشى ، عن عمه يزيد بن عبدى بن عثمان ، قال : رأيت عليا ـ رضى الله عنه ـ خارجا من همدان ، فرأى فئتين يقتتلان ، ففرق بينهما ثم مضى فسمع صوتا .

يا غوثا بالله . . . !

فخرج يُحضر «أى يسرع » نحوه حتى سمعت خفق نعله وهو يقول : أتاك الغوث .

فإذا رجل يلازم رجلاً، فقال :يا أمير المؤمنين ، بعتُ هذا ثوبا بتسعة دراهم، وشرطت عليه ألا يعطينى مغموزا ولا مقطوعا ـ وكان شرطهم يومئذ ـ فأتيته بهذه الدراهم ليبدلها لى فأبى ، فلزمته ، فلطمنى فقال : أبدله ، فقال : بينتك على اللطمة ، فأتاه بالبينة فأقعده ثم قال : دونك فاقتص فقال : إنى قد عفوت يا أمير المؤمنين ، قال: إنما أردت أن أحتاط فى حقك ، ثم ضرب الرجل تسع درات وقال: هذا حق السلطان .

* * *

غُرِّى غيرى

عن على بن ربيعة ، عن على بن أبى طالب أنه جاءه ابن النباح فقال : يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء .

قال : الله أكبر . قال : فقام متوكئا على ابن النباح حتى قام على بيت المال فقال:

هذا جناى وخِيَارُه فيه ... وكُلّ جانٍ كَدُّه إلى فِيهِ

فأعط جميع ما فى بيت المال للمسلمين وهو يقول : يا صفراء يا بيضاء غُرى غيرى حتى ما بقى فيه دينار ولا درهم ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين.

لذلك يقول الإمام أحمد بن حنبل :

إن عليا ما زانته الخلافة ولكن هو زانها .

ما زَانَه الملكُ إذ حَـــوَاه ... بـل كُـلُّ شـىء به يُـزانُ

جرى فَفَاتَ الملوكَ سَبْقًا ... فليـس قُـدامـــه عِـنَانُ

نالتْ يداه ذُرى معـــالٍ ... يعـجزُ عن مثـلها العيانُ

* * *

تربية المدرسة المحمدية

عن محمد بن كعب القرظى عن شيث بن ربعى عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال :

قدم على رسول الله ﷺ سبى ، فقال على لفاطمة : ائتى أباك فسليه خادمًا تتقين به العمل فأتت أباها حين أمست فقال لها : مالك يا بنية؟ قالت : لا شىء جئت لأسلم عليك واستحيت أن تسأل شيئا فلما رجعت قال لها عَلِىٌّ : ما فعلت ؟

قالت : لم أسأله شيئا واستحييت منه حتى إذا كانت الليلة القابلة قال لها: ائتى أباك فسليه خادما تتقين به العمل فأتت أباها فاستحيت أن تسأله شيئا حتى إذا كانت الليلة الثالثة مساء خرجنا جميعا حتى أتينا رسول الله ﷺ فقال : ما أتى بكما فقال على : يا رسول الله شق علينا العمل فأردنا أن تعطينا خادما نتقى به العمل.

فقال لها رسول الله ﷺ : « **هل أدلكما على خير لكما من حمر النعم؟** » .

قال على : يا رسول الله نعم !

قال : تكبيرات وتسبيحات وتحميدات مائة حين تريدا أن تناما فتبيتا

على ألف حسنة ، ومثلها حين تصبحان ، فتقومان على ألف حسنة ؛ فقال على : فما فاتنى منذ سمعتها من رسول الله ﷺ إلا ليلة صفين ، فإنى نسيتها حتى ذكرتها فى آخر الليل فَقُلْتُها .

وأيضا عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن على قال : أتانا رسول الله ﷺ حتى وضع رجليه بينى وبين فاطمة فعلمنا ما نقول إذا أخذنا مضاجعنا : ثلاثا وثلاثين تسبيحة ، وثلاثا وثلاثين تحميدة ، وأربعا وثلاثين تكبيرة ، قال على : فما تركتها بعد .

فقال له رجل : ولا ليلة صفين .

قال : ولا ليلة صفين .

* * *

ضياع أمة

لنقرأ سويا هذه المقالة الخاصة بالإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ ، ولنتمعن فى كلماتها فبها الحل لمشكلة هذه الأمة ، ولكن الحل كامن لمن يفهم .

عن عمير بن زودى، قال: سمعت عليا ـ رضى الله عنه ـ يقول :

هل تدرون ؟ إنما مثلى ومثلكم وقتل عثمان ، كمثل ثلاثة أثوار كن فى أجمة: ثور أبيض ، وثور أسود ، وثور أحمر ، ومعهم فيها أسد ، فكان الأسد لا يقدر على شىء لاجتماعهم عليه فقال للثور الأسود والثور الأحمر: إنه لا يدل علينا فى أجمتنا هذه إلا الثور الأبيض فإنه مشهور اللون ، فلو تركتمانى فأكلته ، وصفت لى ولكما الأجمة وعشنا فيها ، فقالا : دونك وما تريد ، فأكله ثم لبث غير كثير، فقال للثور الأحمر ، إنه لا يدل علينا فى أجمتنا إلا الثور الأسود فإنه مشهور اللون، وإن لونى ولونك لا يشتهران فلو تركتنى لأكله صفت لى ولك الأجمة وعشنا فيها ، فقال له : دونك ، فأكله ثم لبث غير كثير فقال للثور الأحمر : إنى آكلك.

قال : دعنى حتى أنادى ثلاثة أصوات ، قال : ناد ، فقال : ألا

إنى أكلت يوم أكل الثور الأبيض ، ألا إنى أكلت يوم أكل الثور الأبيض، ألا إنى أكلت يوم أكل الثور الأبيض ، قال يقول على ـ رضى الله عنه ـ ألا وإنما وهنت يوم قتل عثمان ـ رضى الله عنه ـ .

* * *

القلوب أوعية

عن عبد الرحمن بن جندب عن كميل بن زياد قال : أخذ على بن أبى طالب بيدى فأخرجنى إلى ناحية الجبان ، فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال :

يا كميل بن زياد القلوب أوعية فخيرها أوعاها ، احفظ ما أقول لك ـ الناس ثلاثة ، فعالم ربانى ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة ، ومحبة العالم دين يدان بها العلم يكسب العالم الطاعة فى حياته، وجميل الأحدوثة بعد موته ، وضيعة المال تزول بزواله ، مات خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة ، هاه ، إن ههنا ـ وأشار بيده إلى صدره ـ علما لو أصبت له حملة ، بلى أصبته لَكنًّا غير مأمون عليه يستعمل آله الدين للدنيا ، يستطير بحجج الله على كتابه ، وبنعمه على عباده ، أو منقادًا لأهل الحق لا بصيرة له فى إحيائه ، يقتدح الشك فى قلبه بأول عاض من شبهة، لا ذا ولا ذاك ، أو مفهوم باللذات ، سلس القياد للشهوات ، أو

مغرى بجمع الأموال والادخار ، وكيسا من دعاة الدين ، أقرب شبهًا بهما الأنعام السائمة ، كذلك يموت العلم بموت حامليه ، اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته ، أولئك هم الأقلون عددا ، الأعظمون عند الله قدرا بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم ، ويزرعوها فى قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمنظر الأعلى أولئك خلفاء الله فى بلاده ، ودعاته إلى دينه . هاه . هاه شوقا إلى رؤيتهم ، وأستغفر الله لى ولك إذا شئت فقم .

وهناك أبيات شعرية لها تدل على كل ما قيل هنا ولكنها تدل على جزء واحد وهو محاباة العلم وكراهة الجهل وأصحابه وهذه الأبيات هى:

فلا تصحبْ أَخَ الجهلِ ... وإيّاك وإيّاهُ
فكَمْ من جاهلٍ أردَى ... حليمًا حين آتاهُ
يقاسُ المرؤُ بالمرئِ ... إذا ما هُوَ مَاشَاهُ
وللشيء من الشيء ... مقاييسٌ وأشبَاهُ
قياسُ النعلِ بالنعلِ ... إذا ما هو حاذاه
وللقلبِ على القلبِ ... دَليلٌ حين يلقاه

* * *

عظني يا أبا الحسن

أخرج ابن عساكر عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال عمر لعلى ـ رضى الله عنها ـ : عظنى يا أبا الحسن !

قال : لا تجعل يقينك شكًّا ، ولا علمك جهلا ، ولا ظَنّك حقًّا ، واعلم أنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت ، وقسمت فسويت، ولبست فأبليت .

قال : صدقت يا أبا الحسن .

* * *

اخصف النعل

أخرج البيهقى :

أن علِيًّا بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ: يا أمير المؤمنين إن سَرَّكَ أن تلحق بصاحبيك فأقصر الأمل، وكُلْ دون الشبع، وأقصر الإزار ، وارقع القميص، واخصف النعل تلحق بهما .

ويقول الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ :

غَرَّ جهولاً أَمَلُهُ يموتُ مَنْ جاء أجَلُه

وَمَنْ دنا من حتفه قد غاب عنه أوَّلُه

والمرءُ لا يصحبُه فى القبرِ إلا عَمَلُه

* * *

ركب المعزى

عن السدى عن أبي أراكة قال :

صلى على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ الغداة ثم لبث فى مجلسه حتى ارتفعت الشمس قيد رمح كأن عليه كآبة ، ثم قال :

لقد رأيت أثرًا من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحدًا يشبههم والله إن كانوا ليصبحون شعثا غبرا صفرا بين أعينهم مثل ركب المعزى ، قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم ، إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة فى يوم ريح ، فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم ، والله لكأن القوم باتوا غارقين .

وأيضا يقول الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ :

طوبى لكل عبد نؤمه ، عرف الناس ولم يعرفه الناس ، عرفه الله برضوان، أولئك مصابيح الهدى يكشف الله عنهم كل فتنة مظلمة ، سيدخلهم الله فى رحمة منه ، ليس أولئك بالمذاييع البذر « أى الذين يفشون الأسرار ».

ولا الجفاة المرائين .

* * *

ضرب لكم الأمثال

عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أن عَلِيًّا شيع جنازة فلما وضعت فى لحدها عَجَّ أهلها وبكوا .

فقال : ما تبكون ؟ أما والله لو عاينوا ما عاين ميتهم لأذهلتهم معاينتهم عن ميتهم ، وإن له فيهم لعودة ثم عودة حتى لا يبقى منهم أحدًا . ثم قام فقال:

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذى ضرب لكم الأمثال ، ووقت لكم الآجال وجعل لكم أسماعًا تعى ما عناها وأبصار لتجلوا عن غشاها ، وأفئدة تفهم ما دهاها فى تركيب صورها وما أعمرها فإن الله لم يخلقكم عبثا ، ولم يضرب عنكم الذكر صفحا ، بل أكرمكم بالنعم السوابغ ، وأرفدكم بأوفر الروافد ، وأحاط بكم الأحصاء ، وأرصد لكم الجزاء فى السراء والضراء .

فاتقوا الله عباد الله وجدوا فى الطلب وبادروا بالعمل مقطع النعمات وهاذم اللذات ، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها ولا تؤمن فجائعها غرور حائل وشبح زائل ، وسناد مائل يمضى مستطرفا ويردى مستردفا ، باتباع شهواتها، وختل تراضعها ، اتعظوا عباد الله بالعبر واعتبروا

بالآيات ، والأثر وازدجروا بالنذر ، وانتفعوا بالمواعظ ، فكأن قد علقتكم مخالف المنية ، وضمكم بيت التراب، ودهمتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور وبعثرة القبور ، وسياقة المحشر ، وموقف الحساب، بإحاطة قدرة الجبار ، كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها ، وشاهد يشهد عليها بعملها ﴿ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٩) ﴾ [الزمر] فارتجت لذلك اليوم البلاد ، ونادى المنادى ، وكان يوم التلاق ، وكشف عن ساق وكسفت الشمس ، وحشرت الوحوش ، مكان مواطن الحشر ، وبدت الأسرار ، وهلكت الأشرار ، وارتجت الأفئدة ، فنزلت بأهل النار من الله سطوة مجيحة فعقوبة منيحة ، وبرزت الجحيم لها كلب ولجب ، وقصيف رعد ، وتغيظ ووعيد تأجج جحيمها وغلا حميمها وتوقد سمومها ، فلا ينفس خالدها ، ولا تنقطع حسراتها، ولا يقصم كبولها ، معهم ملائكة يبشرونهم بمنزل من حميم وتصلية جحيم، عباد الله محجوبون ، ولأوليائه مفارقون، وإلى النار منطلقون، عباد الله اتقوا الله تقية من كنع فخدع، ووجل فرجل ، وحذر فأبصر فازدجر ، فاحتث طلبا ، ونجا هربا وقدم للمعاد ، واستظهر بالزاد وكفى بالله منتقما وبصيرا ، وكفى بالكتاب خصما وحجيجا ، وكفى بالجنة ثوابا وكفى بالنار وبالا وعقابا وأستغفر الله لى ولكم.

* * *

فلنحمد الله لننجو

عن ابن أعبد ، قال : قال لى على - رضى الله عنه - ألا أحدثك عنى وعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وكانت من أحب أهله إليه ؟

قلت : بلى .

قال : إنها جرت بالرحى حتى أثر فى يدها ، واستقت بالقربة حتى أثر فى نحرها، وكست البيت حتى أغبرت ثيابها ، فأتى النبى ﷺ خدم فقلت : لو أتيت أباك فسألتيه خادما ، فأتته فوجدت عنده حداثا فرجعت ، فأتاها فى الغد فقال : «ما كان حاجتك ؟ » فسكتت ، فقلت : أنا أحدثك يا رسول الله جرت بالرحى حتى أثرت فى يدها ، وحملت بالقربة حتى أثرت فى نحرها ، فلما أن جاءك الخدم أمرتها أن تأتيك فتستخدمك خادما يقيها حرًّ ما هى فيه .

قال : « اتقى الله يا فاطمة ، وأدى فريضة ربك ، واعملى عمل أهلك فإذا أخذت مضجعك فسبحى ثلاثا وثلاثين ، ، وأحمدى ثلاثا وثلاثين ، وكبرى أربعا وثلاثين فتلك مائة ، فهى خير لك من خادم » .

قالت : رضيت عن الله عز وجل وعن رسوله ﷺ .

* * *

الوصية الأخيرة

أختم هذا الكتاب المتواضع بتلك القصة الجميلة والتى حدثت فى آخر أيام أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ آخر الخلفاء الراشدين ، فلنقرأها ولنعمل بها فهى آخر متنفس من الراحلين إلى الفردوس .

أخرج ابن عساكر عن عقبة بن أبى الصهباء قال :

لما ضرب ابن ملجم عليا ـ رضى الله عنه ـ دخل عليه الحسن ـ رضى الله عنه ـ وهو باك فقال له : ما يبكيك يا بنى ؟ قال : وما لى لا أبكى وأنت فى أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا .

فقال : يا بنى احفظ أربعا أربعا لا يضرك ما عملت معهن ، قال : وما هن يا أبت ؟

قال : « إن أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب ، وأكرم الكرم حس الخلق ».

قال : قلت : يا أبت هذه الأربع فأعلمنى الأربع الأخرى.

قال : « وإياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصادقة البخيل فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصادقة

الفاجر فإنه يبعك بالتافه» .

هذه هى آخر قصة فى هذا الكتاب وأرجو من الله أن نتأمل كل ما كتب ونحاول فهمه وحفظه ووعيه ثم تنفيذه وجعله منهاجا نسير عليه ، حتى نرحل أو نحاول الرحيل خلف من سبقونا إلى رضا المولى عز وجل ، اللهم آمين آمين.

المؤلف

محمد عبده

المراجـــع

* إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين : للزبيدى .

* أدب الدنيا والدين : للماوردى .

* تاج العروس : للزبيدى .

* تفسير القرآن العظيم : لابن كثير .

* الجامع لأحكام القرآن : للقرطبى .

* حدائق الأزهار : لابن عاصم.

* حلية الأولياء : لأبى نعيم .

* سنن أبى داود : لأبى داود .

* سنن ابن ماجه : لمحمد بن يزيد القزوينى .

* سنن الترمذى : لأبى عيسى محمد بن عيسى .

* سنن الدارقطنى : للدارقطنى .

* سنن الدارمى : لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمى .

* السنن الكبرى : للبيهقى .

* سنن النسائى : لأحمد بن سعيد .

* سير أعلام النبلاء : للذهبى .

* شعب الإيمان : للذهبى .
* صحيح ابن حبان : للبيهقى .
* صحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج .
* صفة الصفوة : لابن الجوزى .
* الطبقات الكبرى : لابن سعيد .
* فتح البارى شرح صحيح البخارى : لابن حجر .
* الكامل فى التاريخ : لابن الأثير .
* لسان العرب : لابن منظور .
* لسان الميزان : لابن حجر .
* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للهيثمى .
* مختار الصحاح : لابن عبد القادر الرازى .
* المراسيل : لأبى داود .
* المستدرك على الصحيحين : للنيسابورى .
* المستطرف فى كل فن مستظرف : للأبشيهى .
* مسند الإمام أحمد : للإمام أحمد بن حنبل .
* المعجم الكبير : للطبرانى .
* المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم : لابن الجوزى .

* وفيات الأعيان : لابن خلكان.

* الاردِج فى المواعظ والتواريخ : لابن الجوزى .

* كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات : لابن بشكوال.

* كتاب العيال : للحافظ ابن أبى الدنيا .

* المواعظ والنكات : لأبى القاسم محمود .

* التوابين : لابن قدامة .

★ ★ ★

الفهرس

الموضوع	الصفحة